درس بعنوان: تفسير سورة النصر

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذا درس في شرح سورة النصر ضمن دروس شرح قصار السور.

هذه السورة لها أسماء فمن أسمائها سورة النصر وسورة الفتح لأن النصر ذكر فيها ولأن الفتح ذكر فيها، وتسمى سورة التوديع لأن فيها خبر قرب وفاة النبي ﷺ، في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم، قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا: يأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو مثله؟ فقال عمر: إنه ما قد علمتم، قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: إذا جاء نصر الله والفتح، فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليست كذلك، ولكن الله أخبر نبيه حضور أجله، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة موتك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر رضي الله عنه: وتلومونني عليه؟!) ، وجاء عن عائشة رضي الله عنها كما في البخاري ومسلم أنه لما فتحت مكة وأسلم العرب جعل النبي ﷺ يكثر أن يقول: ((سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك)) يتأول القرآن في هذه السورة وقال لها مرة: ((ما أراه إلا حضور أجلي)).

سورة النصر استفتحها الله عز وجل بقوله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر هو العون والإظهار على العدو قال القائل: إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري أرض عامر، المراد بنصر الرسول يعني نصره على قريش، قوله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ الفتح فتح مكة قال ابن كثير قولًا واحدًا، وقيل فتح المدائن وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه الله عليه من العلوم والمعارف.

قوله سبحانه أَفْوَاجًا أي جماعات فوجًا بعد فوج، والمراد بالناس أهل اليمن وقال جمهور المفسرين جميع وفود العرب.

قوله سبحانه فَسَبِّحْ سبح أي قل سبحان الله إذا صليت وقيل معنى سبح يعني صلي، ويؤيد القول الأول أن المراد بسبح قل سبحان الله إذا صليت ما جاء عند البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما صلى رسول الله ﷺ بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلاَّ أن يقول: ((سبحانك ربنا وبحمدك، اللهمّ اغفر لي))، قوله

سبحانه بِحَمْدِ رَبِّكَ أي حامدًا له على ما آتاك، قوله عز وجل وَاسْتَغْفِرْهُ أي سل الله الغفران، فإن قيل فماذا يغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار؟ قيل كان النبي ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبًا يستغفر منها، وقيل معنى واستغفره كن متعلقًا به سائلًا راغبًا وقيل الاستغفار في حقه ﷺ تعبد يجب الإتيان به لا لطلب المغفرة، وقيل تنبيه لأمته لكيلا يتركوا الاستغفار، وقيل استغفره يعني استغفر لأمتك، وقوله سبحانه إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا أي كثير التوبة على عباده ومن أسمائه سبحانه التواب.

هذه السورة العظيمة تشتمل على لطائف، **اللطيفة الأولى** أمر الله نبيه بالاستغفار والتسبيح والحمد عند الفتح وقرب الأجل، ليكون التسبيح والحمد شكرًا لله تعالى على الفتح ويكون الاستغفار استعدادًا للآخرة ولقاء الله تعالى.

اللطيفة الثانية أضاف الله تعالى النصر إلى نفسه فقال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ وإذا جاء نصر الله فلا يغلب كما قال تعالى ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٠].

اللطيفة الثالثة أضاف الله الدين إلى نفسه فقال ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فالدين دين الله وهو سبحانه تكفل بنصرة دينه وعلو أمره وظهور شريعته ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

اللطيفة الرابعة ينبغي لمن كبر سنه أن يقبل على الله تعالى ويشتغل بعبادته ويكثر من التوبة والاستغفار استعدادًا للآخرة ولقاء ربه، جاء عند البخاري ((أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة)).

اللطيفة الخامسة أشارت السورة إلى وعد الله وخبر رسول الله بإقبال الناس على الدين وانتشاره في العالمين، جاء عند أحمد أن النبي ﷺ قال: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر)).

اللطيفة السادسة كان الإسلام في قلة والمسلمون في ضعف فكثر المسلمون وقوي الإسلام ثم ظهرت الردة عن الإسلام، وهكذا وفق حكمة الله تعالى يضعف المسلمون ويقوى عدوهم تارة، ويشتد المسلمون ويضعف عدوهم تارة أخرى، ولابد للمؤمن أن يفهم هذه السنة الإلهية والعادة الربانية التي أجراها الله في خلقه.

اللطيفة السابعة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أخبر النبي ﷺ بإخبار الله تعالى له بظهور دينه والفتح عليه، وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ فقد تحقق ما أخبر به.

اللطيفة الثامنة من إكرام الله لنبيه أن أراه نصرة دينه وتمام أمره وبلوغ شريعته فقال وَرَأَيْتَ النَّاسَ ، أي تحقيقًا لما وعدناك وتصديقًا لما أخبرناك سترى ذلك عيناك لكمال قدرتنا وشرفك وسناك.

اللطيفة التاسعة المؤمن يتواضع لله ويتطامن لعباده ولا يرى لنفسه فضلًا ولا لذاته مكانة، فالنصر والفتح من الله تعالى والتقصير والتفريط من العبد فلا هو ينسب الكمال أو الأعمال لنفسه ويختال بها ولا هو ينسى تقصيره وتفريطه في حق الله تعالى، فهو في حالة إخبات وخضوع وتذلل وخشوع.

اللطيفة العاشرة عبر سبحانه بحصول النصر بالمجيء فقال إِذَا جَاءَ للإشعار بأنه يأتي شيئًا فشيئًا وفق تقدير الله تعالى والأسباب التي نصبها لذلك، فنصر الله للمؤمنين وعباده الصالحين يكون بعد التمحيص والاختبار حتى يحصل التمايز ويظهر الزيف وتتكشف الأقنعة ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

اللطيفة الحادية عشرة أمر الله تعالى نبيه بأن يسبحه والتسبيح هو التنزيه، أي نزه ربك عن أن يهمل الحق ويدعه للباطل وهو منزه سبحانه أن يخلف وعده في تأييد نبيه وهو منزه سبحانه أن يفعل عبثًا أو يخلق سدى فهو يمهل الكافرين ليمتحن قلوب المؤمنين.

اللطيفة الثانية عشرة قوله سبحانه وَاسْتَغْفِرْهُ إشارة إلى أن الاستغفار يكون لما يعلق بالنفوس من القلق والضجر والخوف والحزن على تأخر النصر والفتح.

اللطيفة الثالثة عشرة عبر سبحانه عن حصول النصر بالمجيء للإشارة إلى أن جميع الأمور مرتبطة بأوقاتها متعلقة بمواقيتها فإذا جاء الميقات حصل النصر والفتح، ولذا فالمؤمن لا يستبطئ النصر ولا يتأخر الفتح.

اللطيفة الرابعة عشرة ذكر الله عز وجل النصر والفتح فالنصر غلبة الحق على الباطل وإعانة المؤمن على الكافر والفتح فتح العلوم والمعارف والهدايات والقلوب والبلاد، ومن أسماء الرب تبارك وتعالى الفتاح.

اللطيفة الخامسة عشرة أشار الرب تبارك وتعالى إلى وقوع الفتح، والفتح إزالة الإغلاق وما فتحه الله فلا ممسك له من بعده، فلا يقدر أحد أن يطفئ النور أو يوصد الباب أو يوقف ركائب الحق.

اللطيفة السادسة عشرة وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا إنه كان توابًا بعد قوله واستغفره ترجية عظيمة للمستغفرين وفتح الباب للمذنبين حتى لا ييأسوا من رحمة رب العالمين.

اللطيفة السابعة عشرة وَاسْتَغْفِرْهُ الاستغفار مشروع في كل وقت، وهو مشروع في ختام الأعمار كما في هذه السورة ومشروع في ختام الأعمال، وقد كان من هديه أنه إذا سلم من صلاته قال أستغفر الله ثلاثًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.